



## التراثات العربية المعرفية في مجال الاتصال: دراسة استكشافية تقويمية

د. محمد بن سليمان الصبيحي (\*)

### ملخص الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى استكشاف طبيعة التراثات العربية المعرفية في مجال الاتصال وتقويمها من خلال استقراء نتائج عدد من الدراسات المرجعية في عدد من البيئات العربية المتنوعة، وفي سياقات زمنية وظاهراتية مختلفة، حيث راجع الباحث (20) دراسة نقدية تناولت واقع النتاج العلمي في مجال نظريات الاتصال وتطبيقاتها البحثية، بهدف إعطاء صورة شاملة تحدد ملامح هذا النتاج واتجاهاته ومدى قدرته على بناء تراكم معرفي متخصص يؤدي إلى إيجاد بيئة عربية لنظريات الاتصال، وانتهت الدراسة إلى نتائج من أهمها:

1. استطاعت الدراسات العربية -إلى حد ما- تطوير التناول النظري في الدراسات الإعلامية، لا سيما إذا ما وضع في الاعتبار المدى الزمني الذي يبدأ مع ظهور الظاهرة الإعلامية، وقد أوضحت المعالجات النظرية وفقاً للمسار الزمني عدم قدرة البحوث والدراسات على التحول من حالة الاستغراب النظري، إلى حالة النقد النظري أو السعي فيما وراء النظريات نحو أطر وداخل جديدة في العالم العربي.
2. اتبعت الدراسات العربية في تناولها للظواهر الإعلامية على اختلافها -في الغالب الأعم- المشارب النظرية نفسها، واعتمدت على المداخل والنظريات التي تشير إلى التوجه العام في دراسة الظواهر الإعلامية، وهو ما يشير إلى حالة من الاستسهال النسبي في توظيف نظريات سائدة أو ذات طابع عام، في مقابل محاولة السعي للتعقق الرأسي في المعالجات النظرية المثلثي، التي يمكن أن تتعامل مع ظواهر مختلفة تقتضي معالجات مختلفة؛ بل وأحياناً متباعدة.
3. بروز محاولات حقيقة في معالجة المستجدات الاتصالية للخروج من إطار النماذج النظرية المهيمنة، وال واضح أن الإنترت والإعلام الجديد والاتصال الاجتماعي قد اثروا بالفعل في الاقتناع بضرورة الخروج من فخ التبعية النظرية لدراسات الاتصال الجماهيري، إلا أن هذه المسألة لم تخرج في أغلب الأحيان عن مساحة القناعة الفكرية أو المطالبة بها.
4. افتقرت الدراسات العربية إلى تضمين الثقافة الوطنية وسياقات البيئات المحلية ضمن الدراسات الإعلامية، وهي قضية متكررة؛ فالمعالجات النظرية تنسع نحو اعتبار المجتمعات ثابتة من جهة، مما يجعل القياسات متتشابهة لا تحمل متغيرات وطنية، كما تنسع كذلك إلى إسقاط النموذج الأميركي على المستوى الدولي، والنماذج المصرية على المستوى العربي في دراسات الإعلام على الظواهر الإعلامية في البلدان العربية المختلفة، المتاثر بدوره بالنماذج الأمريكية.
5. تعكس أزمة المنهج حالة معايرية تامة تؤكد على وجود اختلالات منهجية تتعلق بالتركيز والنمطية والاعتماد على المناهج الكمية والدراسات الوصفية والعينات غير الاحتمالية، واتباع النموذج المهيمن في الدراسات الإعلامية في العموم، ونقص البعد التجريبي والدراسات النقدية والاعتماد على المناهج الكيفية والبعد عن التحليل الثقافي بأنواعه.

(\*) أستاذ مشارك في كلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية.